على ذلك الجواب تعويل جماعة عليه ممن علم أنه السائل. والظاهر أنه قصد بالسؤال ترغيب الناس إلى الأدلة، وتنفيرهم عن التقليد، كما يدلّ على ذلك قصيدته التي أوردها القاضي العلَّامة أحمد بن مُحمَّد قَاطِن في كتابه الذي سمَّاه (تحفة الإخوان بسند سيد ولد عدنان) وأولها: [من الطويل]

تَـأمَّـلْ وفَـكِّـر فـي الـمـقـالاتِ وانْـصِـتِ وَعَـدِّ عَـنْ ضَـلالاتِ الـتَّـعـصُّـبِ والْـفـتِ

وقد ذيلت أنا هذه القصيدة بقصيدة أطول منها وأولها: [من الطويل]

مَـسـامـعُ مَـنْ نـاديـتَ يـا عَـمْـرو سُـدّتِ وَصُـمَّـتْ لدَى صَفْوٍ من النُّصْحِ صُمَّتِ

وهي موجودة في مجموع شعري، وقد أوردت كثيراً منها في الجواب على التفكيك المشار إليه. وسكن المترجم له (سربة)، وهي نزهة قريب ذمار، جارية الأنهار باسقة الأشجار، ثم باعها وفرَّ إلى أبي عريش، إلى شريفها، وكاتبَ من هنالك أنه يريد رجوع ما باعه. ثم جرت خطوب آخرها أنه عاد إلى حضرة مولانا الإمام المهدي العبَّاس بن الحُسين، وقد كان يكثر الإحسان إليه، كما كان والده المنصور يكثر الإحسان إليه كذلك، وكان مفرط الكرم لا يبالي بما أخذ ولا بما أعطى. وله أشعار رائقة فائقة مجموعة في كراريس، جمعها السيد الأديب مُحمّد بن هَاشِم بن يَحْيَى الشامي رحمه اللَّه. وهي مشهورة بأيدي الناس فلا حاجة إلى إيراد شيء منها. و(مات) في سنة ١١٧٣ ثلاثٍ وسبعين ومائة وألف. وقد كان يحكي عن نفسه أن أجود شعره القصيدة التي مدح بها الإمام المنصور باللَّه الحُسين بن القاسِم رحمه اللَّه، وهي: [من الطويل]

حَـقـيـقـةُ عِـشْـقٍ فـي الـفـؤادِ مَـجـازُهـا لَـهـا فَـرْضُ عَـيْـنٍ فـي الـخـدودِ جَـوازُهـا

وَمـا كُـنـتُ أدري أنّ لِـلـعـشْـقِ دَوْلـةً تَـذلُّ لـهـا أبـطـالُـهـا وعِـزَازُهـا

وهي قصيدةٌ طويلةٌ مشتملةٌ على بلاغةٍ بليغةٍ.

٨٥

(السيد إسْماعيل بن إبراهيم)

ابن الحُسَين بن الحَسَن بن يُوسف ابن الإمام المهدي لدين اللَّه مُحمَّد بن المهدي لدين اللَّه أحمد بن الحَسَن ابن الإمام القاسم رحمهم اللَّه. ولد سنة ١١٦٥ خمسٍ وستين ومائة وألف بصنعاء المحمية باللَّه. ونشأ بها واشتغل بالمعارف العلمية. وهو ذو فكرٍ صحيح ونظرٍ قويم رجيح، وفهم صادقٍ، وإدراكٍ تامٍّ، وكمال تصوّرٍ، وعقل يقلّ وجود نظيره، وحُسن سمتٍ فائقٍ، وتأدّبٍ

رائق، وبشاشةِ أخلاقٍ وكرمِ أعراق. أخذ عني في الفقه والأصول والحديث، فقرأ عليَّ في شرح الأزهار، وشرح «الغاية» و«شفاء» الأمير الحسين، و«أمالي» أحمد بن عِيسَى، و«الأحكام» للهادي. وفي البخاري والهدى، وشرحي للمنتقى، ومؤلفي المُسمَّى «بالدرر»، وشرحه المُسمَّى «بالدراري» وفي «الكشاف» وغير ذلك. وهو الآن مُكِبٌّ على الطلب، له فيه أكمل رغبة وأتمّ نشاط وعظم إقبال. وصار الآن يكتب تفسيري الذي سميته (فتح القدير) بعد أن كتب غالب مصنفاتي وسمعها عليّ. وله اشتغال بالعبادة ومحبة للاستكثار منها. ومن حسن أخلاقه واحتماله، أنّي لم أعرفه مع طول ملازمته لي أنه قد غضب مرةً واحدةً مع كثرة ما يدور بين الطلبة من المذاكرة والمناظرة المفضية في بعض الحالات إلى تكدّر الأخلاق وظهور بعض القلق. وهذه منقبة عزيزة الوجود. وكان والده رحمه اللَّه معدوداً من علماء الفقه. وأخوه العلَّامة العَلَم، ستأتي له ترجمة مُستقلةً إن شاء اللَّه. ولصاحب الترجمة نظم حسن، فمنه ما كتبه إليّ وقد أهدى لي طاقة زهر منثور: [من مجزوء الرجز]

إليكَ يا عزَّ الهُدَى ... نِظَامَ مَنْثُورٍ أتى
هَديةُ أبرزها الرَّ ... بيعُ في فَصْلِ الشِّتا
حَقيرةً لَكِنَّها ... طَابتْ شَذًى ومَنْبِتا
كَأصْلكَ الزَّاكي الذي ... أبدى لنا خَيْرَ فَتَى
فَاقْبَلْ وسَامِحْ ناظماً ... قَصَّرَ فِيما نَعَتَا[1]

فأجبت بقولي: [من مجزوء الرجز]

يابنَ الأولى في شأنهم ... بِهَلْ أتى المَدْحُ أَتَى
ومَنْ همُ القادةُ إنْ ... أعضلَ خَطْبٌ أو عَتَا[2]
بحللٍ مِنْ فِضَّةٍ ... بَعثْتَ يا خَيْرَ فَتَى
كأنه الجاماتُ في ... فَيروزج قَدْ نُعِتَا[3]
أو الثُّريا أو عُقـ ... ـد الدُّرِّ إنْ ما نَبَتا
نَظْمُكَ والمنثورُ وا ... فاني متى الوَصْلُ مَتَى

(١) نَعَتَ: وَصَفَ.
(٢) أَعْضَلَ الخطبُ: صَعُبَ وأَشْكَلَ.
(٣) الجامات: الكؤوس، الواحد: جام، وهي من الفضة خاصَّةً.